محمد نورالدين عبدالمنعم *

جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران

(الصفحات ١٦١- ١٧٦)

ملخّص

العلاقات الثقافية بين مصر و إيران ضاربة عريقة، وبعد الإسلام أصبح البلدان ضمن دائرة حضارية واحدة، فحدث بينهما التعارف أو التبادل المعرفي في مجال اللغة والأدب والفن والعلوم والعادات والتقاليد. اهتمام إيران باللغة العربية واسع في شتى المجالات المعرفية والعلمية والإعلامية، واهتمام مصرباللغة الفارسية يتجلّى في طباعة الكتب الفارسية وترجمتها إلى العربية. يذكر أن عددًا من الصحف الإيرانية قد كانت تصدرفي القاهرة باللغة الفارسية، وجامعات مصر اهتمت منذ افتتاحها بتدريس اللغة الفارسية. وفي اللغة المصرية الدارجة نرى مفردات فارسية، كل ذلك يدلّ على ما بين البلدين من مشتركات حضارية لابد من تفعيلها ونحن نشرف بإذن الله على استعادة مكانة العالم الإسلامي بين أمم الأرض.

إن العلاقات المصرية الإيرانية علاقات قديمة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وهذا أمر طبيعي فهذان البلدان مصرو إيران قد حملتا مشاعل الحضارة وأضاءتا العالم القديم بعد أن كان يعيش في دياجيرالظلام.وقد قويت العلاقات بينهما أكثرفيما بعد عند دخولهما الإسلام، فقد اعتنق الشعبان هنا وهناك الدين الإسلامي الحنيف، وربطت بينهما الأخوة الإسلامية، وساهما معًا في دعم الحضارة

* - أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة-جامعة الأزهر.

الإسلامية العظيمة التي أضاءت العالم بنورها وقدّمت له الكثير من العلماء والمفكرين. والمعروف أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية لشؤون الدولة الفارسية منذ دخل الإسلام إلى إيران حيث انتشرت هذه اللغة بسرعة عجيبة بعد أن دخل الناس هناك في دين الله أفواجًا وأصبحوا ينظرون إليها نظرة مقدسة بصفتها لغة القرآن والدين الجديد، وقد ظلت اللغة العربية في المرتبة الأولى من الناحية الأدبية حتى أواخر القرن الثالث الهجري تقريبًا، والمعروف أن أوائل كتاب الفارسية الإسلامية أو الفارسية الحديثة كانوا من ذوي اللسانين، وهذا ما يفسر لنا تأثر اللغة الفارسية باللغة العربية إلى أبعد حدود التأثر في مفرداتها وبلاغتها بل وفي قواعد النحو أيضًا، إذ أصبح من الضروري أن يشتمل النحو الفارسي على بعض أبواب من النحو العربي نتيجة دخول الألفاظ والتراكيب العربية في ثنايا اللغة الفارسية.

وقد استخدم الإيرانيون كثيرًا من المفردات العربية، لأنها كانت في بعض الأحيان أسهل بكثير من الكلمات الفارسية القديمة، أو لأنهم لم يجدوا مقابلًا لها في لغتهم، ويدخل في هذا الموضوع من المفردات: المصطلحات الدينية وبعض المصطلحات السياسية والديوانية والعلمية. وقد ساعدهم في هذا الأمر أن اللغة العربية من أغنى اللغات بالأصول وبالمشتقات الناتجة عن هذه الأصول، والمعروف أن الخط العربي قد استعمل أيضًا بدلًا من الخط البهلوي نظرًا لسهولته.

ونتيجة لهذا التأثر بالعربية وآدابها، فقد أصبح من غير الممكن أن يكتب الكاتب أو الشاعر الإيراني شيئًا باللغة الفارسية بحيث تكون كتابته خالية من الألفاظ العربية، والدليل على ذلك أن الفردوسي الشاعر الإيراني الكبير قصد إلى نظم *الشاهنامه* أو كتاب الملوك بلغة فارسية خالصة، خاصة وأنه كان يتحدث عن تاريخ الإيرانيين وأمجادهم، إلا أن أحدًا لا يستطيع أن يدّعي أنها خالية من الألفاظ العربية.

ووجدنا بعض الكتاب الإيرانيين ينصحون باستعمال الكلمات العربية في ثنايا اللغة الفارسية ومن هؤلاء كيكاوس مؤلف كتاب «چهارمقالة» أو المقالات الأربع، (مؤلف عام ٥٥١هـ).

التنوع في إطار الوحدة:

من مظاهر التأثير العربي في اللغة الفارسية بعد دخول الإيرانيين في الإسلام، أن كثيرين منهم بدأوا يسمون أبناءهم بأسماء عربية، كما أخذوا يلقبون أنفسهم بألقاب عربية، وظهرت العبارات العربية منذ عام ٣٢هـ على العملات التي استعملت في تلك البلاد، ثم ظهرت أسماء خلفاء بني أمية بعد ذلك على العملات الإيرانية.

وهناك من العلماء الإيرانيين من ألف كتبًا بالفارسية والعربية مثل الشيخ أبي علي بن سينا الطبيب والفيلسوف والكاتب المعروف (متوفى ٤٢٨هـ) وله شعر بالفارسية والعربية، وكذلك أبي حامد الغزالي (متوفى ٥٠٥هـ)، والخيام النيشابوري (متوفى ٥١٧هـ) ونصيرالدين الطوسي (متوفى ٦٧٢هـ) الفيلسوف الكبيروصاحب الإنتاج الغزير في الموضوعات الدينية والفلسفية والرياضية والمسائل المتصلة بأحكام النجوم.

ومن المؤلفات الأدبية ما كتب باللغتين مثل كتاب *حدائق السحر في دقائق الشعر* لرشيد الدين الوطواط (متوفى ٥٧٣هـ).

و إذا حاولنا تحديد مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية في المؤلفات القديمة وجدناها على النحو التالي:

١ – ذكر الجمل والعبارات العربية بين العبارات الفارسية.

٢- ذكر التواريخ بالعربية.

٣- ذكر آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية وأمثال وأشعار عربية.

٤- ذكر مقدمة الكتب أو خطبتها بالعربية.

٥- ذكر عناوين فصول بعض الكتب النثرية المؤلفة بالفارسية باللغة العربية.

٦- تسمية الكتب الفارسية بأسماء عربية.

هذا بالإضافة إلى استخدام الألفاظ العربية في اللغة الفارسية وهو أمر بيّن، وقد يصل عدد هذه الألفاظ إلى نصف الألفاظ المستخدمة في هذه اللغة،وكان من نتيجة هذا التأثر أننا نجد كثيرًا من الكلمات العربية المستعملة في الفارسية

يصعب الحصول على مرادف لها في الفارسية، وأصبح مرادفها مهجورًا مثل: كتاب، تأثير، حج، منارة، خليفة، أمين، أمانة، شعر.

وقد صاغ الإيرانيون كثيرًا من التراكيب العربية لأنفسهم في مقابل بعض المصطلحات الحديثة أو الاختراعات الجديدة، ونحن لا نجد لها مثيلًا في العربية ومن ذلك تركيب «ذو حياتين» للتعبير عن الحيوانات التي تعيش في الماء وعلى اليابسة. وما زالت العربية تساهم في تركيب المصطلحات الجديدة في الفارسية.

وليس معنى ذلك أن الكلمة العربية تظل كما هي عند استخدامها في الفارسية، بل إنها تخضعها في الغالب لخصائصها الصوتية، ولا يقتصر الأمر على التغيير الصوتي فحسب، بل قد يتعداه إلى تغيير في المعنى أو في الشكل والإملاء، ومن أمثلة التغيير في المعنى كلمة «رعناء» التي تعني في العربية المرأة الحمقاء والهوجاء في منطقها، وتعني في الفارسية المرأة الجذابة الجميلة المنظر والمديدة القوام. وكلمة «حرف» التي تعني في العربية أي حرف من الحروف، وتعني في الفارسية الكلام، وكلمة «صدا» التي تعني في العربية صدى الصوت وتعني في الفارسية الصوت نفسه.

ومن هنا يهتم الإيرانيون في عصرنا الحاضر بدراسة اللغة العربية وتعلّمها نظرًا، لأنها تغلغلت في لغتهم الفارسية الحديثة وأصبحت جزءًا لا يتجزأ منها، والمعروف أن كثيرًا من الإيرانيين نادوا بإقصاء الألفاظ العربية عن اللغة الفارسية، غير أن هذه الدعوة باءت بالفشل وقام من يدافع عن وجود هذه الألفاظ من أبناء إيران الغيورين، واعتبروا هذه الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية وخضعت لأصواتها واستخداماتها الجديدة ألفاظًا فارسية ولا يمكن الاستغناء عنها على الإطلاق. وما زلنا نرى المجمع اللغوي الإيراني يستخدم كثيرًا من الألفاظ العربية في محاولة إيجاد معادلات للألفاظ الأجنبية الدخيلة من اللغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية وغيرهما.

أما بالنسبة للعلاقات المصرية الإيرانية بعد الإسلام فيجب أن نشير هنا إلى

مشاركة عدد من الإيرانيين وأكثرهم من أهل خراسان في قوات جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص التي أعدّت لفتح مصر، وقد استوطن عدد منهم مصر بعد هجرتهم من إيران. وعاش في مصر أيضًا بعض أبناء سلمان الفارسي. ولا شك في أن هناك بعض الشواهد التي تدل على وجود تبادل ثقافي وسياسي وعلمي واقتصادي بين مصر و إيران، فقد كان الليث بن سعد إمام الفقه والحديث الذي ولد في عام ٩٤هـ وذاع صيته بين أهل مصر إيراني الأصل، ويذكر الكندي في كتابه «ولاة مصر» أن كثيرًا من ولاة مصر في عهده كانوا إيرانيين.

و إذا نظرنا إلى مصر الفاطمية وجدنا أن لها صلات وثيقة مع إيران، ذلك لأن الفاطميين أخذوا الكثير من الفرس في عاداتهم وتقاليدهم، حتى جعلوا بلاطهم أشبه ما يكون ببلاط ملوك الفرس، فأقاموا الحفلات، واحتفلوا بالأعياد الإيرانية مثلهم، ومن أهم هذه الأعياد عيد النيروز الذي يعتزبه الإيرانيون كثيرًا وينسبونه إلى ملكهم الأسطوري جمشيد.

ولقد كانت مصر موطنًا للفنون على تباين أنواعها، وليس في الإمكان أن نتصور الفن الإسلامي دون أن نتصور لإيران أثرًا فيه، وهذا يستوجب وجود تأثير للفنون الإيرانية على الفنون الإسلامية بصفة عامة.

وقد اختلط المصريون بعد ذلك بالأتراك العثمانيين الذين فتحوا مصر عام ١٥١٧، وأدى ذلك الاختلاط إلى تأثير لغة الغالب على المغلوب، فدخلت ألفاظ تركية كثيرة إلى اللغة العربية، وكما نعرف فإن اللغة التركية تحمل بين جنباتها العديد من الألفاظ والتراكيب الفارسية. ومن هنا، انتقلت بعض الألفاظ الفارسية إلى العامية المصرية عن طريق اللغة التركية.(وسوف نفصل القول في هذه المسألة بعد قليل).

وتهتم إيران اليوم بتعليم اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة، وتعتبرها لغة أساسية بجانب اللغة الفارسية وذلك منذ المراحل الأولى للتعليم وحتى مرحلة التعليم الجامعي وهي تدرس بشكل إلزامي على مدى سبع سنوات متتالية، وهناك أيضًا

أقسام للغة العربية في كافة الجامعات الإيرانية، تهتمّ بدراسة العربية وآدابها، وهناك العديد من المتخصصين في هذا المجال ولهم مؤلفات كثيرة وقيمة.

ونلاحظ بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران أن الألفاظ العربية قد زادت في الاستخدام أكثر من ذي قبل، نظرًا لأن القائمين على الحكم في إيران هم جميعهم من رجال الدين الإسلامي أو من ذوي الثقافة الإسلامية والعربية الراقية، وهم يفضلون في كثير من الأحيان استخدام الألفاظ العربية في خطبهم وكتاباتهم، وقد يستخدم الواحد منهم اللفظ العربي مع مرادفه الفارسي ولا يجد غضاضة في ذلك.

ولا نعجب عندما نجد كثيرًا من اللافتات وقد كتبت عليها بعض العبارات أو الجمل ونجد معظم ألفاظها عربية ولا نجد فيها من الفارسية إلا الروابط أو الأفعال التي تنتهي بها الجملة أو العبارة الفارسية. ويضرب الكثيرون مثالًا على كثرة استخدام الألفاظ العربية في الفارسية بالتحذير الذي نراه في كثير من الأماكن وخاصة محطات البنزين والذين يقول: «استعمال دخانيات أكيدًا ممنوع أست». وهذه الجملة لا يوجد فيها من الفارسية سوى الرابطة (است) التي تربط هذه المجموعة من الألفاظ العربية أو تربط المسند إليه بالمسند.

ويحاول كل إيراني تلتقي به في أي مكان من العالم أن يدلل على معرفته بالعربية، فيتحدث معك ببعض الألفاظ أو العبارات العربية، و إن أعجزه ذلك ذكر بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الأمثال العربية أو الأشعار العربية التي تعلمها أو حفظها وعلقت بذاكرته. وهو يجد في هذا نوعًا من الترحيب بالضيف العربي و إكرامًا له. والمعروف أن معظم المسؤولين في الحكومة الإيرانية الآن يتحدثون العربية بطلاقة نظرًا لتعليمهم الديني ودرايتهم بالعربية وأساليبها.

ونذكر من المجلات التي كانت تصدر بالعربية في إيران قبل الثورة مجلة الإخاء التي كانت توزع على مستوى العالم العربي وتتضمن دروسًا في اللغة الفارسية للقارئ العربي الذي يريد تعلم الفارسية. كما تصدر في إيران الآن

مجلات باللغة العربية مثل «كيهان» العربية ومجلة «الوحدة الإسلامية» وغيرهما. وهناك من الناقمين على الحكم الإسلامي مَنْ يعتقدون بأن الاهتمام باللغة العربية والثقافة الإسلامية هو انتقال من التغريب الذي كان قائمًا في عهد الشاه إلى التعريب الذي وضح جليًّا بعد قيام الثورة.

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الإيرانيين باللغة العربية منذ دخولهم في الإسلام وحتى عصرنا الحاضر، مما يؤكد على وجود أواصر قوية تدعم العلاقات العربية الإيرانية بشكل عام والعلاقات المصرية الإيرانية بشكل خاص.

و إذا نظرنا إلى الأدب العربي في مصر وجدنا نوعًا من التأثر بالأدب الفارسي، وخاصة في الشعر، وأول دليل على ذلك هو **الشاعر ابن سناء الملك**، ذلك الشاعر الذي عاش في العصر الأيوبي ودرس اللغة الفارسية وتأثر بالشعر الفارسي إلى حد ما.

و إذا انتقلنا من العصر الأيوبي إلى العصر الحديث، نجد الشاعر محمود سامي البارودي المتوفى عام ١٩٠٤م وكان صاحب اطلاع واسع على الأدب العربي والفارسي والتركي، وهذه كانت عادة الشعراء في ذلك الوقت من حيث الثقافة العامة التي يجب أن يلمّوا بها، **وقد أخذ البارودي بعض المعاني من الشعر الفارسي**.

كما نذكر أيضًا الشاعرة المشهورة **عائشة التيمورية** المتوفاة عام ١٩٠٢م وهي مصرية المولد والمقام و إن كانت في نسبها كردية تركية شركسية، وهي تشبه البارودي في نوع ثقافتها وسمو منزلتها الشعرية، **ولها أشعار جيدة في ثلاثة دواوين بالعربية والفارسية والتركية**. ومن الأسف أن شعرها الفارسي قد ضاع برمته.

تأثيرات متبادلة:

إن مصر كانت من أوائل الدول التي قامت بطبع بعض الكتب الفارسية في مطبعتها المعروفة بمطبعة بولاق، ومن ذلك ديوان حافظ الشيرازي وكلستان وبوستان سعدي الشيرازي ومثنوي معنوي لجلال الدين الرومي وغير ذلك. ومن الكتب التعليمية التي طبعت في مصر عام ١٢٤٣هـ كتاب *تحفه ي وهبي* وكتاب

التحفة العباسية للمدرسة العلية التوفيقية لمحمد مهدي، وقد طبع الأخير في المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠١هـ، وكتاب *زردشت باستاني وفلسفه او* (زرداشت القديم وفلسفته) تأليف حاجي ميرزا عبدالمحمد خان إيراني مؤدب، المطبوع في مصر عام ١٣٥١هـ(١٩٣٣م) في مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، وغير ذلك من الكتب.

كما أن صحفًا إيرانية كانت تصدر في العصر القاجاري (١٢٠٠ – ١٣٤٤هـ= ١٧٨٥- ١٩٢٥م) ،وتتناول الأوضاع في إيران بحرية تامة ولكنها لم تكن تصل إلى أيدي القراء الإيرانيين بسهولة ويسر، بل كانت تصل إليهم مهربة عن طريق السياح أو ضمن حمولة البضائع التجارية المرسلة إلى هناك، ثم يتداولها الناس في السرّ وفي تكتم شديد. كما صدرت بعض الصحف الإيرانية في مصر ومنها صحيفة (ثريا) و(برورش) و(جهره نما) و(حكمت)...

والزائر للمتاحف ودور الكتب المصرية يعجب لكثرة الآثار الإيرانية الموجودة في مصر، والدليل على ذلك هذا الكم الكبير من المخطوطات الفارسية النادرة، وكذلك قطع السجاد والمنسوجات والأواني الخزفية وغير ذلك مما يدل على حب المصريين لاقتناء هذه الأشياء والاحتفاظ بها في منازلهم، ثم انتقالها بعد ذلك إلى المتاحف ودور الكتب الحكومية للمحافظة عليها كتراث إسلامي عزيز على قلب كل مسلم.

وقد اهتمت مصر منذ إنشاء جامعة القاهرة بتدريس اللغة الفارسية لطلابها، حيث أنشئ معهد اللغات الشرقية الذي كان يمنح درجة الماجستير في هذا التخصص، ثم أنشئ قسم متخصص بعد ذلك للغات الشرقية ومنها اللغة الفارسية، ولا تخلو جامعة من الجامعات المصرية اليوم من قسم يدرّس هذه اللغة ويهتم بالبحوث التي تدور حول اللغة الفارسية وآدابها وتاريخ إيران وحضارتها، وقد ازداد الإقبال على هذه الدراسة زيادة ملحوظة في السنوات الأخيرة، ووصل عدد الطلاب الدارسين إلى بضعة آلاف على مستوى الجامعات المصرية.

ويزداد الاهتمام بهذه اللغة يومًا بعد يوم، حيث أنشأت جامعة القاهرة أيضًا

مركزًا للدراسات الشرقية يعنى بهذه اللغة وبالبحوث الخاصة بإيران، بالإضافة إلى اللغات الشرقية الأخرى. ويصدر المركز بعض الدراسات الخاصة بهذا المجال. كما يصدر مجلة بعنوان «قضايا إيرانية» تترجم فيها مقالات وبحوث من الفارسية إلى العربية توضح وجهة النظر الإيرانية في كثير من القضايا السياسية المعاصرة. كما تصدر أيضًا مجلة «مختارات إيرانية» التي تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بـ«الأهرام» شهريًا.

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل إن المجلس الأعلى للثقافة في مصر وفي هذه السنوات الأخيرة اهتم اهتمامًا بالغًا بالكتب التي تترجم عن أصول فارسية، وقام بنشر العديد من النصوص الأدبية والتاريخية المترجمة عن الفارسية، وذلك ضمن المشروع القومي للترجمة.

كل هذا إن دلّ على شيء إنما يدل على اهتمام مصر والمصريين باللغة الفارسية ورغبتهم في الاطلاع على ما كتب بهذه اللغة سواء في لغته الأصلية أو مترجمًا إلى اللغة العربية. ويقوم أساتذة اللغة الفارسية في مصر بدور بارز وفعال في تقديم الأعمال الأدبية المترجمة الى القارئ العربي بصفة عامة والمصري بصفة خاصة، بالإضافة إلى تدريسهم لهذه اللغة وتخريج كوادر جديدة تعمل في هذا المجال.

التفاعل اللغوي:

القضية الهامة التي نريد التركيز عليها هي قضية التأثير الكبير للغة الفارسية على العامية المصرية، فالمتمعن في اللهجة المصرية يكتشف ألفاظًا فارسية كثيرة تستخدم فيها وتدخل معظمها تحت أنواع الأطعمة أو الملابس أو الأدوات التي تستخدم في الأغراض المختلفة، كما أن بعض هذه الألفاظ موجودة في العربية الفصحى وموجودة في العامية أيضًا، وبعضها موجود في العامية دون الفصحى.

فمن الألفاظ الفارسية التي تستعمل في العامية المصرية مجموعة من أسماء

الأطعمة والمشروبات، وكثير منها يستعمل في الحياة اليومية من غير علم أنها فارسية الأصل، وأنها أصبحت اليوم جزءًا لا يتجزأ من المفردات المصرية ومن هذه الكلمات مثلًا في الأطعمة:

بالوظه (پالوده)،برشت (برشته)، خشاف (خوشاب)، شوربة (سوب أو شوروا)، طرشي (ترشي)، كباب، كفته (كوفته).

وأمثلة ذلك في الملابس:

بفته (بافته)، بيشه (پيچه)، دوباره (دوباره)، طربوش (سربوش)، كليم (گليم)، كنار(كنار)، كمر(كمر).

وهناك مجموعة أخرى من الألفاظ الفارسية عبارة عن أسماء لبعض الأدوات التي تستعمل في أغراض مختلفة، مثل:

جنزير (زنجير)، سبت (سپد)، سيخ (سيخ)، طاسه (طاس أو تاس)، طشت (تشت)، كبشه (كفچه)، كوز(كوزه).

وتصادفنا كلمات فارسية ما زالت تستخدم في الجيش والإدارة مثل:

بياده (پياده): سواري (سوار)، ميز(ميز)، ادبخانه (ادب خانه)، بندر(بندر).

وما زالت تتردّد في العامية المصرية بعض الألفاظ الفارسية المركبة التي تركها الأتراك العثمانيون، ومنها مثلًا: خازندار(خزانه دار)، سلاحدار(سلاح دار)، مهمندار (مهماندار)، كتباخانه (كتاب خانه)، اجزاخانه (اجزاخانه)، شفاخانه (شفاخانه).

ومن الصفات الفارسية المستخدمة في العامية المصرية: بس، بشت (پشت) پليد (بليد)، تنبل، خام، خرده، ساده، كهنه.

ومن المصطلحات المهنية التي دخلت إلى مصر من الفارسية ما يلي:

اوسطا (استاد)، بريد، شبندر(شهبندر)، هندزه ـ هندسة (اندازه)، ياور.

ولا ننسى أن نقول إن بعض الأسماء التي يسمي بها المصريون أبناءهم وبناتهم ترجع إلى أصول فارسية، مثلًا:

خورشيد (الشمس)، شاهين (الصقر)، شاهبور(ابن الملك -الأمير).

ويُسمي المصريون بناتهم بالأسماء التالية:

دولت (السعادة، الثروة)، نازك (الطريفة ـ اللطيفة)، جهان (الدنيا)، شيرين (الحلوة)،نرجس (زهرة النرجس).

كما تستخدم الأعداد الفارسية بلعبة الطاولة مع تحريف لبعض الأعداد الفارسية في النطق فتقول: يك، دو، سه، چهار، پنج، شيش، ... الخ.

أضف إلى هذا أننا نجد نوعًا من التوافق في بعض الأحيان بين الأمثال العامية في مصروالأمثال العامية أو الشعبية الإيرانية، نذكرعلى سبيل المثال لا الحصرقول المصريين:

على قد لحافك مد رجليك، ويقول الإيرانيون بقدر گليمت پا دراز كن،أو: بايت را باندازه گليمت دراز كن. معناه: امدد قدميك بقدربساطك.

ويقال في العامية المصرية: اللي يحتاجه البيت يحرم على الجامع، ويقابله في الفارسية قولهم: چراغي كه بخانه رواست بمسجد حرامست، أي: المصباح الذي يحتاجه المنزل يحرم على الجامع. ويقال في العامية: الغربال الجديد له شده، ويقابله في الفارسية قولهم: نوكرنو آهورا بدو ميگيرد. أي: الخادم الجديد يقبض على الغزال جريًا.ويقال في العامية المصرية: الكتاب بيان من عنوانه، ويقابله في الفارسية قولهم: سالي كه نكوست ازبهارش پيداست. أي: السنة الطيبة تبدو من ربيعها (أي من أولها).وفي العامية: المركب اللي فيها ريسين تغرق، ويقابله في الفارسية قولهم: آشبز كه دوتا شد آش خراب ميشود. أي: عندما يكون هناك طباخان يفسد الحساء.

وهناك العديد من الأمثال المصرية التي تتشابه في مضمونها ومعناها مع الأمثال الفارسية، وهذا يدل على ثقافة مشتركة تجمع بين الشعبين، أضف إلى هذا أنه يدل على ثقافة مشتركة تجمع بين الشعبين، أضف إلى هذا أن هناك أنواعًا من التعبيرتسود أيضًا بين ما يعبربه المصري وما يعبّربه الإيراني، ومثال ذلك قولنا: فلان

ده قضية، ويقابلها في التعبير الفارسي: فلان معركه است. وقول المصريين: فلان قاعد ينش، ويقابله في الفارسية قولهم: فلان مگس پران.

ويقال في المصرية: فلان لابد أن يدفع المعلوم، ويقصد هنا المال الضروري لإنجاز شيء ما، والمعلوم تعني في الفارسية والعربية الشيء المعروف أو المدرك، وتعني في الفارسية أيضًا الشيء الواضح أو الظاهر، وهي أيضًا كناية عن المال في الفارسية.

وفي المصرية: أنا مفيش حيل، وهذا المعنى نراه تمامًا في العامية الفارسية وذلك في قولهم مثلا (امروزنا ندارم ازجايم بلند شوم) أي: أنا مفيش حيل لكي أقوم من مكاني اليوم. فكلمة «نا» في العامية الفارسية معناها: القوة أو الطاقة، كما تعني أيضا: رائحة المواد الغذائية القديمة كالدقيق والقمح والأرز الذي خزن طويلًا أو وضع في مكان رطِب.

وفي العامية المصرية أيضًا: أنا في وادي وأنت في وادي، والمقصود من هذا التعبير أن لكل منا تفكيره ورأيه في موضوع من الموضوعات، وهذا يشبه تمامًا قولهم في الفارسية: فلان دروادیي بجزوادي تست. أي: فلان في واد غير واديك. وتعني هنا أن فلانًا له طريقة أو مذهب مختلف عن طريقتك ومذهبك. والمعروف أن كلمة «وادي» تستخدم أصلا في الفارسية بمعناها في العربية، أي: كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام، كما تعني في الفارسية أيضًا: الصحراء.

ويقولون في العامية المصرية فلان له سبعة ألسن، أي كثير الكلام. ويشبه هذا التعبير أيضًا ما يقوله الإيرانيون: به هفت زبان سخن ميگويد. أي: يتحدث بسبعة ألسن. كناية عن تعدد اللغات أو الألسنة. وكان يعتقد قديمًا أن الناس في العالم يستعملون سبع لغات فقط.

ويطلق في العامية المصرية كلمة «بتاع» على أي شيء لا نعرف اسمه أو ننسى اسمه، وهناك تعبير في العامية الفارسية يطابق هذا المعنى أيضًا هو قولهم: مزن هر دم [هرلحظه نزن] بمعنى: الآلة أو الجزء من الشيء الذي لا يعرف الإنسان اسمه،

فمثلًا: عندما لا يعرفون اسم مقبض تشغيل موتورالسيارة «هندل» يقولون: آن مزن هردم را بياورتاماشين را روشن كنم. أي: هات مقبض تشغيل موتورالسيارة حتى أشغلها. وتنطق هذه العبارة في العامية الفارسية: مزن هردم.

عندما ينجب الوالدان أطفالًا ويموتون يحاولون تسمية أبناءهم بأسماء غربية أو تتضمن معنى البقاء حتى تطول أعمارهم ويعيشون، فمثلًا يسمون الطفل المولود خالد أو يحيى. وفي العامية الفارسية نجد أسماء من هذا القبيل كقولهم: «آقاماندي» أي «الباقي» أو قولهم «خدا بگذار» أي: «المتروك لله» أو «ماندە علي»، أي: «المتروك لعلي».

ويتم الحديث دائمًا في العامية المصرية عن البعبع أو العفريت، فإذا سأل الطفل عن شيء يقال له: أخذه البعبع، أو أخذه العفريت، حتى لا يطالب به مرة ثانية. وهذا ما تفعله الأم عند رغبتها فطام طفلها، إذ تدهن حلمة ثديها بلون أسود مرّ الطعم، وعندما يريد الطفل الرضاع منه يتأذى بشدة، فيقولون له في الفارسية: ممه را لولو برد، أي: لقد أخذ البعبع الثدي. وكلمة «ممه» تعني الثدي في لغة الأطفال، كما تعني كلمة «لولو» البعبع أو العفريت. وهذه العبارة نفسها تعني مجازات: ضياع شيء طيب أو فائدة متوقعة. أما دهان حلمة الثدي باللون الأسود فهو معروف أيضًا في مصر، إذ يدهنونها بالمرّ الذي يعطيه لونًا أسود وطعمًا مرًا.

هناك تعبيرفي العامية الفارسية يدل على ما يزوره أو يصنعه المرء وليس له أصل في الواقع، فيقولون مثلًا (لغات من درآوردي) أي: «كلمات موضوعة» أو يقولون مثلا: (عقايد شما من درآوردي وبي نتيجه است) أي: أفكارك مصنوعة وملفقة ولا طائل من ورائها.وتعبير«من درآوردي» يشبه تمامًا ما يقال في العامية المصرية: مفبرك، ملفق، مزوّر.

ويوصف في المصرية بعض الأشخاص بالبخل فيقال: فلان متخرش الميه من إيده. وهذا يشسبه قولهم في اللغة الفارسية: آب ازدستش نمي چكد، أو: آبش به گلو فرو نمي رود. وهي كناية عن غاية الخسة والضعة.

ويقال: نحلّي بق فلان، ومعنى ذلك أنه سيعطي مكافأة على ما يقوم به . وفي هذا المعنى يقول الإيرانيون: شيرين كردن دهن كسي، وهي كناية عن: الرشوة أو المجاملة التي تقدم لشخص في سبيل إنجاز عمل ما.

هناك عبارة فارسية تقول: با كسي درته يك پرهن بودن.أي: أن يرتدي اثنان قميصًا واحدًا. وهذا كناية عن قربهما من بعضهما وتفاهمهما في كل الأمور. وفي العامية المصرية ما يشبه هذا المعنى أيضًا.

كما يقال في العامية المصرية: فلان يعد على فلان أنفاسه. وفي هذا المعنى يستخدم الإيرانيون عبارة: أنفاس كسي را شمردن. وهو نفس المعنى المستخدم في المصرية.

يقولون في العامية الفارسية: ازمن بشما نصيحت، أي: نصيحة مني. ويقصدون بهذه العبارة: أقول لك نصيحة. وهذه العبارة تشبه تمامًا القول المصري عندما يقول فلان لفلان: نصيحة مني افعل كذا وكذا.

خاتمة:

هكذا رأينا كيف تأثر الإيرانيون بالعربية منذ دخولهم الإسلام وكيف اهتموا بها وأصبحت لغة رسمية لهم لفترة من الزمن، ثم كيف تأثرت لغتهم الإسلامية الحديثة بهذه اللغة العربية، ويدل على ذلك هذا الكمّ الكبير الذي تضمنته الفارسية من الألفاظ العربية.

أما بالنسبة للمصريين فقد لاحظنا من خلال هذا البحث أنهم اهتموا أيضًا بالفارسية على مدى عصور مختلفة وازداد اهتمامهم بها في العصر الحديث بعد تطور العلاقات بين البلدين وتقدمها، وكيف استخدم المصريون كثيرًا من الألفاظ الفارسية في عاميتهم.

ومن هنا، فليس غريبًا أن نقول إن الإيرانيين يتكلمون العربية، والمصريين يتكلمون الفارسية، نظرًا للتأثير المتبادل بين الشعبين المسلمين.

ويعجب الباحث عندما يشاهد هذا الكمّ الكبيرمن الكتب والمخطوطات التي تضمّها دارالكتب المصرية ومكتبات الجامعات المصرية، والتي يرجع إليها الباحثون من شتى بقاع العالم للتعرف على هذه اللغة وآدابها. وقد اهتمت دار الكتب المصرية بهذه الكنوزالثمينة وحرصت عليها ورتّبت لها الفهارس حتى يسهل الانتفاع بها، فهناك فهرس للمخطوطات الفارسية يضم دراسة لـ٢٥٤٢ مخطوطة، كما يوجد أيضًا فهرس للمخطوطات الفارسية المزينة بالصوروبشتمل على دراسة لإحدى وسبعين مخطوطة فارسية.

وتضم المتاحف ودورالكتب المصرية العديد من الآثاروالكنوزالإسلامية التي تتميزبالقيمة الفنية والأثرية والندرة أحيانًا، والباحث في هذا المجال يمكنه العثور على كثيرمن الكتب والفهارس التي تتناول هذه الآثاربالوصف والدراسة، والواقع أنني لم أجد كتابًا شافيًا يتناول الآثارالإيرانية في مصرويسجلها تسجيلًا علميًا كما وجدت في كتاب *الآثارالإيرانية في مصر*الذي ألفه بالفارسية سيد محمد باقرالنجفي، وهوعالم إيراني حرص كل الحرص على تتبع آثاربلاده داخل المتاحف والمكتبات المصرية، وأعدّ أكثرمن ١٠٣٨ شريحة ضوئية خلال تسعة شهورأقامها في مصر، وكانت هذه الشرائح هي النواة التي أسس عليها كتابه هذا الذي طبعته مؤسسة بوب للنشرفي مدينة كولونيا بألمانيا في فبراير عام ١٩٨٩م، وبالإضافة إلى مشاهداته وما جمعه من صورفقد اعتمد على مصادر كثيرة، وزارأماكن متعددة في مصر.

ونحن إذا نظرنا إلى كل هذه الآثارالإيرانية الموجودة في مصروجدناها تدل دلالة قاطعة على عشق المصريين لكل الفنون الإنسانية، وقد حافظوا عليها عندما كانت ملكًا للأفراد ثم حافظوا عليها بعد ذلك في متاحفهم عندما آلت ملكيتها للدولة، وهم في ذلك يحرصون عليها كل الحرص كما يحرصون على آثارهم القومية التي تربط بين الشعبين المصري والإيراني، وكلاهما صاحب حضارة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وقد أسمهما معًا في بناء صرح الحضارة الإسلامية بصفة خاصة والإنسانية بصفة عامة.

المراجع:

١ –*الألفاظ الفارسية في العامية المصرية* ـ د. محمد نورالدين عبدالمنعم ـ بحث منشور في كتاب «جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر» ـ القاهرة ١٩٧٨م.

٢ – كتاب *جوانب من الثقافة الإيرانية* ـ دكتور محمد نورالدين عبد المنعم ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ٢٠٠٧م.

٣- كنوز إيرانية في مصر ـ دكتور محمد نورالدين عبدالمنعم ـ بحث منشور في مجلة مختارات إيرانية التي تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ـ العدد ٥٩ ـ يونيو ٢٠٠٥م.

٤- المصريون يتحدثون بالفارسية والإيرانيون يتحدثون بالعربية ـ دكتور محمد نورالدين عبدالمنعم ـ بحث منشور في مجلة مختارات إيرانية ـ العدد ٦٧ ـ فبراير ٢٠٠٦م.

٥- كتاب *اللغة الفارسية (بحوث في النشأة والتطور)* ـ دكتور محمد نورالدين عبدالمنعم ـ القاهرة ١٩٩٢م.

٦- كتاب *قضايا لغوية مقارنة بين الفارسية والعربية* ـ دكتور محمد نورالدين عبدالمنعم ـ العدد ١٤ من سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية التي يصدرها مركز الدراسات الشرقية بالقاهرة ـ ٢٠٠٤م.